نجاح حقيقية في العمل الزراعي .

لقد كان هناك نماذج من حالات اقامة مستوطنات زراعية غير يهودية في فلسطين ؛ الاول ، نموذج ناجح نسبيا وهو المستعمرة الزراعية الالمانية الاميركية التي أقيمت في منطقة حيفا في بداية خمسينات القرن التاسع عشر . وكان يرئس هذه المستوطنة شخص يدعى جاكوب شوماخر ، ويحتل في الوقت نفسه منصب وكيل قنصل تابع للقنصل الاميركي في بيروت . وقد عرف هؤلاء المستوطنون باسم « التمبلارز » ؛ اي الهيكليين* (٦) . وكان هؤلاء المستوطنون ، ومعظمهم من أصل الماني ، ينتمون الى جماعة دينية تسمى الأدفنتست**؛ اما النموذج الثاني ، فقد فشل فشلا كاملا ، وأدى فشله الى العودة للتركيز على تهجير اليهود الى فلسطين . وقد تجسد هذا النموذج في ارسال مجموعة من المستوطنين الاميركيين الى فلسطين كمقدمة لارسال مجموعات اخرى تقيم مستوطنات زراعية فيها . وقد اقام هؤلاء مستوطنتهم قرب مدينة يافا في منتصف الستينات من القرن التاسع عشر . وربما كان احد الاسباب الهامة لفشل هذه التجربة ، المقارنة الدائمة في ذهن المستوطنين بين الامكانات المتاحة في فلسطين ، وتلك المتاحة في الولايات المتحدة للاستيطان الزراعي .

وتبين الوثيقتان التاليتان فشل هذه التجربة رغم اهتمام قوى سياسية هامة في الولايات المتحدة بانجاح التجربة ؛ الوثيقة الاولى هي عريضة موقعة من قبل سبعين مستوطنا اميركيا ، يطلب موقعوها ارسال سفينة لنقلهم الى بلادهم بعد أن وصل بهم الحال الى العجز عن دفع اجرة العودة الى الولايات المتحدة ، وهي مرسلة الى اثنين من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي يمثلان ولاية ماين ، وهي الولاية التي قدم منها هؤلاء المستوطنون . وواضح من نص العريضة ان القنصل الاميركي في القدس والسفير الاميركي في القسطنطينية كانا يتابعان هذه التجربة .

اما الوثيقة الثانية ، فهي رسالة من وزير الخارجية الاميركي موجهة الى أحد المسؤولين الاميركيين المعنيين باقامة المستوطنات الزراعية الاميركية في فلسطين . ويتبين منها اهتمام اعضاء الكونغرس بانجاح التجربة ، بل وبتكثيف الهجرة الى فلسطين بغرض اقامة المستوطنات الزراعية .

إن الدوافع لاقامة مثل هذه المستوطنات ، قبل ظهور الحركة الصهيونية اليهودية ليست واضحة . غير اننا لا نستطيع تجنب الاستخلاص بأن الاهتمام بهذه المستوطنات كان موجودا عند أعلى مستوى من السلطة السياسية في الولايات المتحدة الاميركية ، اي تلك السلطة التي ينتظر منها ان تأخذ قراراتها بناء على حسابات مرتبطة باستراتيجية الدولة ، وليس بناء على اعتبارات عاطفية واسطورية . والامر الآخر الذي يتوجب علينا استخلاصه هو أن العامل

---

* تجدر الملاحظة ان اسم الهيكليين ، اطلق، أساسا ، على الفرسان الهيكليين الذين اشتهروا في الحروب الصليبية .

** « الأدفنتست» يطلق عليهم بالعربية اسم « السبتيين » بسبب الاعتبار الذي يمحنونه ليوم السبت ،رغم كونهم مسيحيين . والاسم الصحيح هو « الصعوديون » أي المؤمنون بالصعود الثاني للمسيح . وهي فكرة دينية استفاد منها المروجون للفكرة الصهيونية .